

الحركة الصهيونية بين النشأة والتطور الإيديولوجي

The Zionist Movement: From Its Origins to Ideological Development

أيمن ابراهيم عزقي

قسم التاريخ - الجامعة اللبنانية - المعهد العالي للدكتوراة - لبنان.

عزقي، أ. (2025). الحركة الصهيونية بين النشأة والتطور الإيديولوجي. *Gloria: International Multidisciplinary Studies*, 1(3).

<https://gloria-leb.org/ZionistAct.htm> 106-115.

الملخص:

بعد توطن اليهود من الشتات في فلسطين، والتي دخلوها بسفك دماء السكان الاصليين وعاثوا فيها فساداً واضطهاداً، وفي القرون المتعاقبة، تنافست على فلسطين امبراطوريات عديدة من الشرق أو الغرب، فتمّ ترحيلهم عنها، سواء على أيدي البابليين أو الفرس أو الرومان، وبعدها اشتعلت حروب داخلية بعد قيام مملكتي اسرائيل ويهوذا (931 ق.م – 587 ق.م)، من هنا لا بدّ من تسليط الضوء على السبب الرئيس في نزوحهم.

عرفت البلاد العربية استقرار العديد من اليهود الذين استوطنوا بها وخاصة في العراق ومصر واليمن وبلاد المغرب العربي، والذين عُرفوا فيما بعد "بالسفا رديم"، أي اليهود الأصليين ممّن يمتّون في الأصل الى العبرانية، وانتقل بعضهم الى بلاد القوقاز التي تحكمها قبيلة وثنية، عُرفت بقبيلة الخزر، وهي "قبيلة تركية، انطلقت من "الإستبس" في القرن الخامس الميلادي"¹، من المنطقة الواقعة ما بين بحر قزوين والبحر الأسود، والتي تُعدّ ممرّاً تجارياً مهماً لدول الشرق والغرب، وهذا ما ساعد في ازدهارها، وباتت محطّ انظار الطامعين للسيطرة عليها، " اما عن الاسباب التي جعلتهم يعتنقون اليهودية، فتعود الى حرصهم على الاستقلال إزاء الديانتين الكبيرتين أي المسيحية والاسلام، واللّتين كانتا تتقاسمان العالم"²، فرفض ملك القبيلة اعتماد أيّ منهما وقرر اعتناق الشريعة اليهودية واعتمدها كدين رسمي للبلاد، وانتشرت فيما بعد في أوروبا الشرقية ومناطق واسعة من الإتحاد السوفياتي السابق، بعد أن قضت عليها قبائل "الرّس السلافية" عليها سنة 965م وشردتها في أقاصي البلاد الأوروبية.

الكلمات المفتاحية: الشتات، الأصليين، قبائل الرّس، الإستبس، دين رسمي.

Abstract

Following the settlement of Jews from the Diaspora in Palestine—a land they entered through the shedding of indigenous blood and the spread of corruption and persecution—numerous empires, both Eastern and Western, vied for control of the region across successive centuries. This led to the forced expulsion of the Jews by various powers, including the Babylonians, Persians, and Romans.

¹ فتوني، علي عبد، تاريخ اليهود السياسي، دار الفارابي، بيروت، ط.1، سنة 2012م، ص100.

² م.ن، ص100.

Subsequently, internal conflicts erupted after the establishment of the kingdoms of Israel and Judah (931 BCE – 587 BCE), necessitating an examination of the root causes behind their displacement.

The Arab world witnessed the stable settlement of many Jewish communities, particularly in Iraq, Egypt, Yemen, and the Maghreb. These Jews later became known as the "Sephardim," referring to the original Jews of Hebrew descent. Some of them migrated to the Caucasus region, which was governed by a pagan tribe known as the Khazars—a Turkic tribe that emerged from the steppes in the fifth century CE³, in the area between the Caspian and Black Seas. This location, a key trade corridor between East and West, contributed to the Khazars' prosperity and drew the attention of imperial ambitions.

The Khazars' conversion to Judaism was driven by their desire to maintain independence from the two dominant world religions—Christianity and Islam—both of which were vying for influence across the known world⁴. The Khazar king rejected both religions and instead adopted Judaism as the official state religion. The Jewish faith subsequently spread across Eastern Europe and large areas of the former Soviet Union, until the Khazar kingdom was destroyed by the Slavic Rus tribes in 965 CE, dispersing its Jewish population to the far reaches of the European continent.

Keywords: Diaspora, indigenous peoples, Rus tribes, steppes, official religion.

المقدمة:

بعد انتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الأولى عام 1918م وهزيمة السلطنة العثمانية وتقاسم أملاكها بين الدول المنتصرة في الحرب، ومن هنا لا بدّ من الإشارة إلى أن منطقة الشرق الأدنى والتي تعتبر الشريان الحيوي بالنسبة للدول الكبرى ولا سيّما الصناعية منها، وهذا ما يُشار إليه عن أهمية الممرّات الحيوية بالنسبة للقارات الثلاث، وبعد هزيمة الدولة العثمانية أخذت الدول المنتصرة تحرّض الأقليات الإثنية على الانفصال والمطالبة بحكم ذاتي ضمن الدول المنتصرة. وقد عرفت السلطنة صراعاً للقوميات والذي كان سبباً في تفكّكها ونرى هنا القومية اليهودية التي تخطّت هذه التحركات واندفعت بقوة مطالبة بوطن قومي يهودي لأن الظروف السياسية والجيو استراتيجية كلّها تصبّ في خانة دعم هذا الوطن. في حين يشير المراقبون إلى أن الحكومة البريطانية مدعومة بالعصابات الصهيونية وحصولها على وعد بلفور عام 1917م هذا الوعد المشؤوم الذي أعطى حراكاً سياسياً وعسكرياً واجتماعياً للعصابات اليهودية في كل أقطار العالم. وقد عبّر المؤرّخ الشهير "إريك هوبسباوم" حيث قال " لقد كان القرن العشرون الأوروبي قرناً قصيراً إلا أنّ القرن العشرين العربي كان أقصر بكثير"⁵ إذ عرفت منطقتنا العربية تحولات جيوسياسية حيث أقدمت إيطاليا على احتلال ليبيا عام 1911م وانتهى بضياح فلسطين.

كما عرفت تلك المرحلة علاقات ذات طابع سرّي بين أقطاب الحركة الصهيونية وبعض النافذين في الدول العربية، من حيث الاتصالات واللقاءات السريّة التي تركت بصمات ذات طابع انهزامي، والغاية التي توخّاها بعض من أركان الحكم في الدول العربية هي ضمان وجودهم واستمراريتهم.

³ فتوني، علي عبد، تاريخ اليهود السياسي، دار الفارابي، بيروت، ط.1، سنة 2012م، ص100.

⁴ م.ن، ص100.

⁵ الحرب العالمية الأولى عالم جديد 2014/11/28 <https://www.aljazeera.net/programs/worldwaronethrougharabeyes/2014/11/28>

تقسيم البحث:

أولاً: نشأة الحركة الصهيونية

تشير معظم الدراسات التاريخية والسياسية الى أنّ القسم الأكبر من يهود الخزر كانوا في روسيا وأوروبا الشرقية، وبعدها عرفت روسيا انطلاق أول حركة صهيونية أطلقت على نفسها حركة "أحباء صهيون" *⁶، وراحت تنتشر في أوروبا الشرقية بشكل واسع، ثم في أوروبا الغربية بشكل أقل، وعملوا على بناء مجتمعاتهم الخاصة وبلدانهم المفقلة حيث تعاليم التوراة والتلمود، في حين أصبحوا أسارى التعصب الديني والعنصرية والاستعلاء، وابتدعوا مقولة أنّهم شعب الله المختار، فيما باقى الأمم خلقها الرب لخدمتهم، وبما أنّهم يملكون الذهب والمال سيطروا على القطاعين الاقتصادي والتجاري.

وعلى اثر اغتيال قيصر روسيا "الكنسندر الثاني" عام 1881م على يد بعض العناصر القومية، ويلاحظ أنّ "بعض المثقفين من اليهود الروس كانوا من المنتمين الى القوميين وفي طليعة الذين شاركوا في شتى الحركات التحررية آنذاك"⁷.

أ- فلسطين والحاخامات:

لازمت فكرة فلسطين على أنها "أرض الميعاد" بعض الشخصيات اليهودية، لا سيما بعض الحاخامات، خلال فترة الشتات، وطالما عُبر عنها بصيغ مختلفة بين حاخام وآخر.

فقد عمل "ساباتاي زيفي" الحاخام من أصل تركي على التأسيس لطريقة يهودية في تركيا عُرِفَت باسم "يهود الباطن"، وهو ما اصطُلح على تسميته بطائفة "الدونمة"، فبعد افتضاح أمره، عمل على "اعتناق الاسلام في الظاهر طمعاً بالامتيازات وخوفاً من عقوبة الموت"⁸.

في حين أصدر حاخام يهودي آخر يدعى "زفي هيرس كاليشر" (1795م - 1874م) كتابه "مطلب صهيون" سنة 1862م، "تحدث فيه عما سماه البداية الطبيعية للخلّاص، ودعا المحسنين والمتمولين اليهود الى تقديم المساعدات لإنشاء المستوطنات والمستعمرات الزراعية في فلسطين"⁹ وراح يجوب البلاد الأوروبية، داعياً اليهود الى وجوب انتظار السيد المسيح في أرض الميعاد في فلسطين، وإقامة مجتمع يهودي "يتم تمويله من قبل أغنياء اليهود، وتحميه قوة عسكرية تنصّدى للبدو"¹⁰.

من جهته، دعا الحاخام "يهودا الكالاي" (1798م - 1878م) الى إقامة المستعمرات اليهودية في الأرض المقدسة في فلسطين، "ووضع ما سماه "برنامج الخلاص الذاتي" لكي يقوم اليهود انفسهم بتحقيق العودة الجماعية الى فلسطين"¹¹، إلا أنّ هذه المحاولات وغيرها لم تبصر النور، وبقيت في إطارها النظري.

⁶ - شوفاني، إلياس، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط.1، سنة 1996م، ص309.

⁷ وزارة الدفاع الوطني اللبناني الاركان العامة - الشعبة الخامسة، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط.1، سنة 1973م، ص56.

⁸ رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى، مركز الأبحاث، بيروت، ط.1، سنة 1968م، ص164.

⁹ وزارة الدفاع الوطني، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، م.س، ص53.

¹⁰ الحسيني، رفيق، على خطى يهوشع أفكار قيادات الحركة الصهيونية ومخططاتها تجاه فلسطين 1850م-1918م، دار الشروق، عمان، ط.1، سنة 2011م، ص37.

¹¹ م.ن، ص53.

ويشير بعض المؤرخين الى أنّ النخب الصهيونية راحت تبرز على الساحة الواحد تلو الآخر، منادين بوجود تأسيس وطن قومي لليهود.

ب- المؤتمرات الصهيونية:

لمع نجم عدد من الشخصيات اليهودية المؤثرة والتي تركت بصمات واضحة في ما آلت اليه أوضاع اليهود على المسرح العالمي، وكان "أحدها عام" و"موسى هس" و"ليو بنسكر" وغيرهم، أبرز الدعاة الى إنشاء الوطن القومي اليهودي الذي عرّف طريقه الى الوجود على يدي الصحافي اليهودي النمساوي الأصل "تيودور هرتزل" (1860م - 1904م).

وهكذا شهدت نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ولادة الحركة الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة "بازل" في سويسرا سنة 1897م، ليكون باكورة النشاط السياسي والدبلوماسي الصهيوني النشط على أبواب الحرب العالمية الأولى. وعلى الصعيد الميداني، "كان من المقرر عقد المؤتمر الأول في مدينة "ميونيخ" بألمانيا، ولكن يهود المدينة - وكانوا كالأغلبية الساحقة من يهود أوروبا آنذاك معارضين للحركة الصهيونية وأهدافها - اعترضوا بشدة، فتمّ نقل المؤتمر الى "بازل"¹².

وتمّ الاتفاق في المؤتمر الأول على التوصيات التالية:

- العمل لاستعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين اليهود
- تنظيم اليهودية العالمية وربطها بمنظمات محلية ودولية
- تقوية المشاعر اليهودية والوعي القومي اليهودي
- اتخاذ الخطوات التمهيديّة للحصول على الموافقة الضرورية لتحقيق هدف الصهيونية

فمؤتمر "بازل" الأول للحركة الصهيونية كان بمثابة وضع خارطة طريق لتسير عليها المنظّمة الصهيونية العالمية، فبعد تشكيل اللجان والهيئات والصناديق، تجنّدت كلّها في سبيل تحقيق البرنامج الذي كان عنوان هذا المؤتمر وأقرّ على لسان الرئيس الأول "هرتزل" بخلق وطن قومي لليهود في فلسطين، على أنّ مصطلح الوطن القومي أُريد له أن يحمل أوجهاً متعدّدة فيها الكثير من التفسيرات والملايسات، لإضفاء الغموض على الهدف والمعنى الحقيقي والذي ظهر على ألسنة العديد من زعماء الصهيونية وهو الدولة اليهودية بالتحديد.

وعقب المؤتمر الأول اندفع الأعضاء اليهود الى عقد المؤتمر الثاني في السنة التالية، أي في العام 1898م في مدينة بال السويسرية، بداية البحث الجدي في استقطاب الجماهير اليهودية ودفعها الى الانخراط في الحركة الصهيونية وذلك عبر "السماح لكل 400 يهودي من دافعي الضريبة الصهيونية (الشاقّل) بإرسال مندوب عنهم الى جلساته وجمعياته العامة.

وعقب المؤتمر الصهيوني الثاني تبعه مؤتمراً ثالثاً سنة 1899م في بال عُرف بالمؤتمر المالي من اجل دعم وتشجيع النشاطات الاستيطانية، فتمّ إنشاء "صندوق الائتمان اليهودي الاستعماري" وهو بمثابة مصرف يهودي تجلّت مهمته في توفير الخدمات المالية للمنظمة الصهيونية، سواء في سبيل تمويل المشاريع الاستيطانية في فلسطين أو في تمويل الحركة السياسية والدبلوماسية للحصول على صك البراءة الدولية، هذا بالإضافة الى العديد من الامور والمسائل الادارية والثقافية التي تمت مناقشتها في هذا المؤتمر.

¹² الحسيني، رفيق، على خطى يهوشع، م.س، ص117.

وجاء المؤتمر الصهيوني الرابع سنة 1900م حيث حضره ما يزيد على الـ 400 مندوب وتتوّعت فيه الموضوعات التي ناقشها المؤتمرين الذين انقسموا واختلفوا حول المنظور الثقافي اليهودي بين المتدينين والعلمانيين ما استدعى تدخّل رئيس المنظّمة "هرتزل" ودفعهم الى مناقشة الامور التي تُوجَد ولا تُقرَق ومنها علاقة المنظّمة ببريطانيا والاستفادة منها وبثّ الدعاية الصهيونية بين مختلف شرائح المجتمعات اليهودية.

وكرّس المؤتمر الصهيوني الخامس سنة 1901م المنعقد في "بال"، ظهور الخلاف بين المتدينين والعلمانيين الى العلن والذي على إثره ظهرت "حركة مزراحي الصهيونية"، بينما نجح في تأسيس "الصندوق القومي اليهودي"، ودعا الى إطلاق أوسع عملية شراء للأراضي في فلسطين على أن تكون وظيفة الأموال المخصّصة للصندوق محصورة بعملية الشراء لتلك الأراضي، كما تبنى المؤتمرين الاقتراح بعقد المؤتمر كل سنتين.

شهدت المؤتمرات الصهيونية الثلاثة التالية، الثامن (لاهاي سنة 1807م) والتاسع (هامبورغ 1909م) والعاشر (بال 1911م)، استمرار الانشقاق بين الصهيونيين الاقليميين والصهيونيين العلمانيين الذين كانت لهم اليد الطولى والدور الأكبر في الحركة الصهيونية العالمية.

وشكّل المؤتمر العاشر الصهيوني مع اشتداد الأزمة بين الطرفين الصهيونيين، فرصة الحل مع استقالة "ولفسون" من رئاسة المنظّمة، وإفساح المجال لبروز "الصهيونية التوفيقية" وعلى راسها البرفسور "واربورغ" الذي استلم موقع رئاسة المنظّمة.

ثانياً: أعلام الحركة الصهيونية

نشير الى أنّ الحركة الصهيونية قد تميّزت بخُبحها الموزّعة على كامل الكرة الأرضية، وكان للقارة الأوروبية النصيب الأوفر من القادة الصهاينة الذين برزوا وعملوا في خدمة المسألة اليهودية، وقد عزّفت الحركة الصهيونية بعض من المتطرفين إضافة الى الحاخامين التاريخيين الذين نظّروا الى ضرورة التوجّه الى أرض الميعاد في فلسطين، وكان لمفكرين يهود أن تركوا بصمات واضحة في تاريخ الحركة الصهيونية.

برز في الحركة الصهيونية بعض من المنظرين الذين اعتادوا على تقليد الحاخامات في تبني فكرة أرض الميعاد في فلسطين، وراحوا يعملون على تأطير تلك الفكرة ورسم السياسات العامة والكفيلة بإنهاء حالة اليهود المشتتة والوصول الى الهدف بإنشاء الوحدة المجتمعية، ومنهم نذكر:

• "أحدها عام" (1856-1927م):

يأتي على رأس قائمة الأعلام النظريين المفكر اليهودي "أشر غنزبرغ" من اودسا*¹³ والمشهور باسمه القلمي "أحدها عام" وهذا الرجل هو بمثابة أستاذ روحي "لوايزمن"¹⁴ ، وُلِدَ سنة 1856م، ويُنسب إليه كتابة "بروتوكولات حكماء صهيون"¹⁵، وقد حارب "أحدها عام" فكرة اندماج اليهود في الدول والمجتمعات التي يقيمون فيها.

¹³ مدينة على البحر الأسود في إقليم أوكرانيا، وودسا دائماً موئل اليهود في العنف والإرهاب منذ قرون- مارسدن، فكتور، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة أحمد علي فياض، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط.1، سنة 2004م، ص336.

¹⁴ م.ن، ص333.

¹⁵ البروتوكولات هي المخطّط الذي وضعه، رجال المال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية، ثم الاسلام، وبعد هذا التخريب الذي قرّر أصحاب البروتوكولات أن يتم في خلال مئة سنة، أي قبل 1997، يعتقد اليهود الصهيونيون أنّهم سيستولون على العالم ويقيمون ملكاً يهودياً داودياً، له من الحيلة والوسيلة ما يمكنهم وهم أقلية ضئيلة، من حكم العالم بأسره حكماً أوتوقراطياً، ولا يجاور الدين اليهودي التلمودي دين آخر، لا مسيحية ولا إسلام، بروتوكولات حكماء صهيون، م.س، ص228.

• "موسى هس" (1812-1875م):

"وُلد "موسى هس" في العام 1812 في مدينة بون بألمانيا، وذهب الى باريس عام 1840 لإكمال دراسته"¹⁶، انضم إلى الحزب الشيوعي عام 1848م بعد إقامته في بروكسيل، وقدم "موسى هس" العديد من الاقتراحات والأفكار التي ساعدت الحركة الصهيونية على التبلور، والتي كانت الدافع الأساس في ظهور بعض المشاريع ووضعها موضع التنفيذ، ومن أبرزها خطته في إنشاء جمعية مهمتها الأساس دعم عملية تمويل الاستيطان اليهودي في فلسطين من خلال دعوته أغنياء اليهود كآل "روتشيلد" وغيرهم للمساهمة الفعالة في تقديم المال اللازم لتلك الجمعية من أجل شراء الأراضي في فلسطين، وتبنى أفكار الحاخام "كاليشر" وطورها إلى نظرية قومية يهودية.

• "ليو بنسكر" (1821 - 1891م):

وهو طبيب يهودي روسي، وُلد سنة 1821م في اوديسا، تلقى العلم منذ صغره في مدارس علمانية ثم مارس مهنة التعليم، ودرس بعد ذلك القانون ثم الطب"¹⁷، وكان بنسكر من المعارضين الأشداء لفكرة اندماج اليهود في مجتمعاتهم، معللاً ذلك بأسباب مختلفة طوراً ينسبها إلى المجتمعات المضيفة ورفضها القاطع التعامل مع اليهود بقدر من المساواة، وطوراً آخر إلى اليهود أنفسهم على أنهم "في نظره عنصر مميز لا يمكن دمجهم في غيره من الأمم، كما يعسر على أية أمة هضمه واستيعابه"¹⁸.

وأخذت الصهيونية النظرية طريقها إلى التطبيق العملي بانطلاق المنظمة الصهيونية العالمية خلال المؤتمر الأول في بال عام 1897م للوصول إلى الهدف الرئيس بإنشاء الوطن القومي لليهود، ومن أبرز أعلامها نذكر:

• "تيودور هرتزل" (1860 - 1904م):

"تيودور هرتزل" هو مؤسس الحركة الصهيونية، ومؤسس عدد من أجهزتها، وُلد في مدينة بودابست بهنغاريا عام 1860م، وهو أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية ولكافة المؤتمرات الصهيونية العالمية الستة الأولى، وهو، بالتالي، "أبو دولة إسرائيل" الروحي كما يحلو للعديد من الصهيونيين أن يسمّوه"¹⁹. وقد عمل هرتزل وبقوة على استقطاب أثرياء اليهود إلى الحركة الصهيونية لجعلها تملك رصيذاً مالياً يتم التحرك من خلاله باتجاه التجمعات اليهودية التي انطلق في تعامله معها من التصور الذي استمدّه من تعاليم "جان جاك روسو" وهو أن "الدولة تقوم على إرادة الشعب لها، وحتى على إرادة شخص قوي بمفرده"²⁰، وهذا بحذ ذاته اعتبره هرتزل أنه مهيّد للإنطلاق نحو تأسيس الدولة.

¹⁶ الحسيني، رفيق، على خطى يهوشع، م.س، ص38

¹⁷ جريس، صبري، تاريخ الصهيونية (1862 - 1917م)، ج.1، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ط.2، 1981م، ص91.

¹⁸ شوفاني، الياس، الموجز في تاريخ فلسطين، م.س، ص320

¹⁹ صايغ، أنيس، يوميات هرتزل، ترجمة هيلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لا.ط، سنة 1968م، ص07

²⁰ رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى، م.س، ص20

• "حاييم وايزمن" (1874 – 1952م):

وُلِدَ "حاييم وايزمن" في روسيا سنة 1874م، وتلقّى علومه الأولى في مدرسة يهودية، وسافر الى مدينة "بنسك" غرب روسيا لإكمال دراسته، ومنها انتقل الى مدينة "دارمستاد" في ألمانيا لتلقي العلوم العالية، ثم التحق بمعهد التكنولوجيا في العاصمة الألمانية برلين لدراسة الكيمياء الحيوية²¹.

تحوّل وايزمن الى أشد الموالين لهرتزل في تبني أفكاره وتأييد حركته ونشاطه، والتحق على إثرها بالحركة الصهيونية وشارك بصفته عضواً من أعضائها في مؤتمرها السادس في سويسرا سنة 1903م، التي وفدها بعد برلين للحصول على شهادة الدكتوراه من إحدى جامعاتها، وأصبح مدرّساً لمادة الكيمياء في جامعة جنيف العاصمة.

قدّم وايزمن للصهيونية خدمات متعدّدة، ونجح خلال فترة وجيزة ان يكون الرجل الأول في الحركة الصهيونية بعد هرتزل، وشكّلت أحداث الحرب العالمية الأولى الفرصة الذهبية لوايزمن التي من خلالها لعب دوراً محورياً وأساسياً في مجريات الأحداث وصولاً الى وعد بلفور سنة 1917م.

في العام 1921م انتُخب وايزمن رئيساً للمنظمة الصهيونية في المؤتمر الثاني عشر في ألمانيا، على أنّ الأبرز كان انتخابه الرئيس الأول للدولة الصهيونية الناشئة سنة 1948م، ويُعدّ هذا الانتخاب تنقيحاً لوايزمن على جهوده في سبيل إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وبقي في منصبه حتى وفاته في العام 1952م.

• "فلاديمير جابوتنسكي" (1880-1940م):

ولد "فلاديمير جابوتنسكي" في مدينة أوديسا في روسيا عام 1880م لعائلة يهودية ميسورة²²، نشأ صحافياً وعمل مراسلاً لبعض الصحف الروسية، وعارض جابوتنسكي هرتزل منذ البداية، رافضاً الطريقة التي اتبعها هرتزل وأتباعه من أجل تحقيق الوطن القومي اليهودي، داعياً الى استخدام السلاح في احتلال فلسطين وطرد العرب منها، ومنذ المؤتمرات الصهيونية الأولى رفع شعار المملكة اليهودية التي تشمل فلسطين كلّها إضافة الى أراضي الأردن، ومن ثمّ تبني فكرة "من النيل الى الفرات".

عُرف جابوتنسكي بمواقفه الحادّة والمتشدّدة اتجاه الفلسطينيين والعرب، ولعب أدواراً رئيسية في إثارة الفتن والاضطرابات بين اليهود والفلسطينيين، بعد أن استطاع تشكيل المنظّمات الإرهابية السريّة وتأمين الأسلحة، إلى أن "حكمت عليه المحكمة العسكرية سنة 1920م بالسجن 15 سنة مع الأشغال الشاقّة ثمّ بإخراجه من البلاد بعد السجن، فلم يلبث بعد قليل أن عُفي عنه وعاد"²³.

تزعّم جابوتنسكي حركات الاحتجاج في المنظمة الصهيونية وكان من أبرز المعارضين لوايزمن، فقادته عنصريته وتطرّفه الشديدين الى الانفصال عن المنظمة الصهيونية العالمية "وأسّس منظّمة رديفة أسماها المنظمة الصهيونية الجديدة والتي ظلّ رئيساً لها حتى وفاته سنة 1940م.

²¹ م.ن، ص149

²² الحسيني، رفيق، على خطى يهوشع، م.س، ص246

²³ مارسدن، فكتور، بروتوكولات حكماء صهيون، م.س، ص347

ثالثاً: وعد بلفور سنة 1917م

تقاطعت المصالح البريطانية كدولة عظمى مع توجهات الحركة الصهيونية لتخدم مشروع الدولة الصهيونية في فلسطين، وكانت بريطانيا قد نكتت بوعودها للعرب في ما عُرفَ بمراسلات "حسين - مكماهون" مقابل تحقيقها الوعد القاطع للحركة الصهيونية في استيطان فلسطين واستعمارها من قبل اليهود بتبني ومساعدة بريطانيا.

ففي 2 تشرين الثاني من سنة 1917م، أعلنت بريطانيا على لسان وزير خارجيتها "جيمس بلفور" عن الوعد الذي قطعه للحركة الصهيونية بشكل رسمي متوجّهاً به الى أحد كبار أغنياء اليهود روتشيلد، وقضى الوعد الذي جاء على شكل رسالة من صفحة واحدة الى أنّ "بريطانيا تتظر بعين العطف الى إنشاء وطن قومي لليهود بفلسطين"، وأصبح يُعرف فيما بعد بوعد بلفور نسبة الى وزير خارجية بريطانيا.

وكرّس الانتداب البريطاني على فلسطين بناءً لاتفاقية سايكس - بيكو، حقيقة نوايا الساسة البريطانيين في إطلاق يد الحركة الصهيونية في مباشرة العمل في استيطان فلسطين، فجاء الانتداب البريطاني ليضع كافة إمكاناته السياسية والعسكرية في خدمة الصهيونية في فلسطين، وبعد خضوع فلسطين الى الانتداب البريطاني تحت إدارة عسكرية بريطانية مباشرة مقرها القدس يديرها حاكم إداري يتلقّى أوامره من القائد العام "النبّي" 24*، بدأت هذه الادارة تعمل على تهيئة فلسطين بشكل تدريجي حتى تصبح وطناً قومياً لليهود.

رابعاً: الدول الغربية والحركة الصهيونية

يشير المؤرخون الى أنّ أوروبا الغربية عامة والشرقية خاصة عرفت هجرات متتالية لليهود عبر التاريخ، وتميزوا بسكنهم المنغلق على نفسه في الأحياء المنتشرة في ضواحي المدن وهو ما عرف بـ "الغيتو"، وكان لمرحل الشتات التي تعرض لها اليهود أن تركت الأثر البالغ على التركيبة الاجتماعية والنفسية ما جعلهم يتوقون الى الانعزال عن مجتمعات الدول التي يتواجدون بينها، وقد زادت طبيعة الحياة التوراتية والعملية لليهود من نفور شرائح المجتمعات المضيفة، خاصة مع أدائهم للطقوس والشعائر الخاصة بهم بطرق غامضة وفقاً لمعتقداتهم التوراتية والتلمودية.

أخذ تطور العلاقة الايجابية بين المسيحية الكنسية واليهودية التوراتية يتخذ أشكالاً متعدّدة، وقد تجلّى هذا التطور في الكثير من القضايا والأمور التي كانت ممنوعة على اليهود سابقاً وأصبح مسموحاً بها، بل وصل الأمر الى حدّ التشجيع عليها، وقد تبنت الكنيسة إلغاء التمييز الديني بين اليهود على اساس اليهود القدامى الأصليين واليهود الجدد الحديثين خاصة بعد أحداث منطقة الخزر في قروين وتهود عدد كبير منهم، واعتبارهم جسماً واحداً على أنّهم "شعب الله المختار" بعد اعتبار الكنيسة المسيحية ولعقود من الزمن على أنّهم قتلة السيّد المسيح، كما كان هناك اعتراف من الكنيسة المسيحية على اختلافها بين البروتستانتية والكنائس الكاثوليكية بامتيازات الدين اليهودي في أوروبا، على أنّ البروتستانتية بعد أن أصبحت مذهب أغلبية البلدان الأوروبية ساهمت في انتشار الأفكار والرؤى والنبوءات التوراتية اليهودية بشكل كبير، والسماح لليهود ببناء دور العبادة اليهودية وهو ما يصطلح على تسميته بالكنيس اليهودي في مختلف المدن والمناطق الأوروبية وتكريس اللغة العبرية بشكل علني لغة مقدّسة، وذلك بعدما تأمّن التغلغل الهادئ والناعم للعقيدة اليهودية التوراتية وتزاوجها مع معتقدات الكنيسة ثمّ رواجها وتقبلها في المجتمعات المسيحية الأوروبية.

²⁴ هو إدموند هاينمان اللّنبّي 23 ابريل 1861م - 14 مايو 1936م ضابط واداري بريطاني اشتهر بدوره في الحرب العالمية الاولى، التلّ، عبدالله، خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، دار القلم، ل.م، ل.ط، سنة 1964م، ص65

ونشير هنا الى أنَّ العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية التي تشكَّلت في الكيانات الأوروبية فيما بعد، أدَّت دوراً رئيسياً لدى النخب والكتل الحاكمة في تبني الأفكار والسياسات اليهودية الصهيونية حول مسألة استيطان اليهود في فلسطين، بل كانت بعض النخب الأوروبية هي صاحبة تلك الأفكار وبعضها الآخر أشدَّ حماساً وأكثر تعلقاً بتلك الفكرة من غالبية بعض اليهود، خاصة بعد الثورة الصناعية الكبرى في أوروبا وحاجتها الى الموارد الأساسية لتلك الصناعات إضافة الى خلق أسواق استهلاكية جديدة وهامة، ما جعل من المنطقة العربية التي تقع على مفترق الطرق التجارية العالمية والتي تُعتبر صلة الوصل بين الشرق والغرب وخاصة فلسطين مادة خصبة لكل من يريد موطئ قدم في الشرق، وعلى رأس تلك الدول بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا التي كانت مركز السياسات الأوروبية والتي راحت تتصارع فيما بينها من أجل الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من أملاك الدولة العثمانية.

أمام هذا الواقع كان لا بُدَّ للقوى الأوروبية ذات التاريخ الاستعماري من تبني وتقديم الدعم المعنوي لليهود، واستغلال الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية وربطها مع بعضها البعض في أفكار ومقترحات جاذبة للتنفيذ انطلاقاً من معاناة اليهود في أوروبا عامة وأوروبا الشرقية خاصة من جهة، ومن جهة أخرى بهدف التخلص من الأعباء الاقتصادية والاجتماعية والأمنية الضاغطة التي شكَّلتها اليهود على المجتمعات الأوروبية المختلفة، وذلك من خلال التأثير على الجاليات اليهودية من أجل انخراطها في مشروع سياسي استيطاني تحت راية الصهيونية، وذلك بتبني ودعم أوروبي استعماري غربي، وهكذا اتَّحدت الأهداف الصهيونية العنصرية مع الغايات الاستعمارية الأوروبية التوسعية لتجد الرأسمالية الحديثة في المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين جسراً لتدعيم نفوذها في الشرق وفي المنطقة العربية خصوصاً، تمهيداً لاقتسام تركة الرجل المريض أي الدولة العثمانية وجعلها منطقة خاضعة للهيمنة الاستعمارية الغربية والتفوق العنصري الصهيوني، لذا فمن نافل القول أنَّ الحركة الصهيونية مسيحية الأصل وأوروبية النشأة.

خلاصة البحث:

برزت الحركة الصهيونية الى حيِّز الوجود في أوروبا نهاية القرن التاسع عشر، وضمت في صفوفها أقطاباً ونخباً يهودية مرتبطة بشكل عضوي مع المصالح الاقتصادية والسياسية والتجارية مع الغرب الأوروبي، ومنها شخصيات حاكمة، وكان الانتداب البريطاني من خلال وعده للحركة الصهيونية في فلسطين، حيث كان بشكل سرّي ثم أصبح علنياً عندما أعلن وزير الخارجية "جيمس بلفور" عام 1917م الوعد بإقامة دولة يهودية في فلسطين.

وقد عرف الشرق العربي أطماعاً أوروبية لاستغلال خيرات الباطنية واقتصادياته، إضافة الى الموقع الجغرافي المتميز لهذا الشرق الذي جذب اهتمام الدول الغربية التي راحت تتنافس فيما بينها للسيطرة عليه.

وقد شهدت المنطقة ولادة الدولة الصهيونية على أرض فلسطين بعد أن نجحت الحركة الصهيونية العالمية التي تزعمها تيودور هرتزل في تأمين كل أسباب إعلانها في العام 1948م، وقد عملت على زرع بذور التفرقة والانقسام بين الدول العربية والاسلامية من أجل عرقلة أي شكل من أشكال الوحدة فيما بينها.

الهوامش:

- 1- إلياس شوفاني ، الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى سنة 1949م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط.1، سنة 1996م.

- 2- أنطونيوس، جورج، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت، لا ط، 1982م.
- 3- التلّ، عبدالله، خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، دار القلم، لا.م، لا.ط، 1964م.
- 4- الحسيني، رفيق، على خطى يهوشع أفكار قيادات الحركة الصهيونية ومخططاتها تجاه فلسطين 1850م-1918م، دار الشروق، عمّان، ط.1، 2011 م.
- 5- رزوق، أسعد، إسرائيل الكبرى، مركز الأبحاث، بيروت، ط.1، 1968م.
- 6- شدّود، ماجد، حافظ الأسد والصراع العربي - الصهيوني، مكتبة الأسد، دمشق، ط.2، 1998م.
- 7- صايغ، أنيس، يوميات هرتزل، ترجمة هيلدا شعبان صايغ، مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لا.ط، 1968م.
- 8- علي عبد فتوني ، تاريخ اليهود السياسي، دار الفارابي، بيروت، ط.1، 2012م.
- 9- مارسدن، فكتور، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة أحمد علي فيّاض، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، ط.1، سنة 2004م.
- 10- وايزمن، حاييم، مذكرات وايزمن بقلمه، ترجمة دار قانون النهر للأبحاث والدراسات الانسانية، دار الفنون للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط.1، سنة 2006م.
- 11- وزارة الدفاع الوطني الجيش اللبناني الاركان العامة - الشعبة الخامسة، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط.1، 1973م.
- 12- <https://www.aljazeera.net/programs/worldwaronethrougharabeyes/2014/11/28>

أيمن ابراهيم عزقي



- حائز على ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من الجامعة اللبنانية - كلية الاداب والعلوم الانسانية تحت عنوان الشيخ محمد علي عز الدين العاملي مفكرا ومؤرخا ورجل دين من خلال حوزته العلمية في حناويه ١٨٢٢ - ١٨٨٤م.
- يحضر اطروحة دكتوراة في الجامعة اللبنانية في المعهد العالي للدكتوراة.